العصور التاريخية في تاداراك الأكاكوس

طبقًا لمعايير الفن الصخري

إعداد

حمدي صبري موسى

الملخص:

ينتشر الفن الصخري في جميع أنحاء أفريقيا، ولكن أغلبه يتركز في منطقتين رئيستين هما شمال أفريقيا، وخاصة منطقتي: تادارات الأكاكوس، وتاسيلى انجار، وجنوب أفريقيا، ويعد موقع أبولو ٢ في برادنبرج بناميبيا الأقدم على الإطلاق، وتعد تادارات الأكاكوس واحدة من أعظم مناطق الفن الصخري، وهناك دلائل قوية على أن هذا الفن لم يمثل مجموعة بشرية واحدة، وإن كانت هناك ثقافة مشتركة قد انتشرت في أنحاء الصحراء خلال النيوليتي، لكن تعدد الأسلوب وتنوعه واختلاف الحيوانات الممثلة فيه، وامتداده الزمني الذي يعد بآلاف السنين تجعل منه نموذجًا يمثل مجموعات بشرية مختلفة من حيث الجنس والثقافة؛ فعلى الأقل يمكن تحديد مجموعات سوداء، وأخرى بيضاء. وقد تنقسم كل مجموعة إلى مجموعات إثنية تبعا لخصائصها. وطبيعة تصنيف العصور التاريخية طبقا للأسلوب المتبع في تنفيذ الفن *الصخري*؛ فلقد اعتمد الباحثون في تحديد المراحل الكبرى للفن الصخري بشمال أفريقيا على معايير تحدد بشكل جيد بداية ونهاية كل مرحلة، وهذه المعايير ما هي إلا نتيجة لمختلف الدراسات والتحاليل لأنواع الأشكال الممثلة والتطابق بينها، و كذلك أساليب تمثيلها، وأنماط تقنيات *إنجازها*، كدرجة الحزوز والنقوش المقامة، ونوعية المغرة والألوان *المستعملة*، واختفاء وظهور بعض الحيوانات؛ فمن خلال كل ذلك توصلوا إلى تحديد مراحل متعاقبة الفيزيولوجية، تلك المجتمعات عاشت في أزمان مختلفة، وفي أجزاء متعددة من الصحراء.

Abstract

Rock art is spread throughout Africa, but most of it is concentrated in two main regions: North Africa, especially the regions of Tadarat Acacus and Tassili Anjar, and South Africa. The Apollo 2 site in Brandenburg, Namibia, is the oldest of all. Tadarat Acacus is one of the greatest areas of rock art. There is strong evidence that this art did not represent a single human group, although there was a common culture that spread throughout the desert during the Neolithic, but the multiplicity and diversity of the style and the difference of the animals represented in it, and its period of thousands of years make it represent different human groups in terms of gender and culture. At least black and white groups can be identified, and each group may be divided into ethnic groups according to its characteristics. The nature of the classification of historical eras according to the method used in implementing rock art Researchers have relied on determining the major stages of rock art in North Africa on criteria that clearly define the beginning and end of each stage. These criteria are nothing but the result of various studies and analyses of the types of shapes represented and the compatibility between them, as well as the methods of representing them and the patterns of their completion techniques, such as the degree of incisions and engravings. The type of ochre and colors used, and the disappearance and appearance of some animals, through all of this they were able to determine successive physiological stages. These societies lived at different times and in various parts of the desert.

وينتشر الفن الصخري في جميع أنحاء أفريقيا، ولكن أغلبه يتركز في منطقتين رئيستين، هما: شمال أفريقيا، وخاصة منطقتي: تادارات الأكاكوس وتاسيلى انجار، وجنوب أفريقيا، ويعد موقع أبولو ٢ في برادنبرج بناميبيا الأقدم على الإطلاق ([1])

تعد تادارات الأكاكوس واحدة من أعظم مناطق الفن الصخري؛ فهناك دلائل قوية على أن هذا الفن لم يمثل مجموعة بشرية واحدة، وإن كانت هناك ثقافة مشتركة قد انتشرت في أنحاء الصحراء خلال النيوليتي، لكن تعدد الأسلوب وتنوعه واختلاف الحيوانات الممثلة فيه، وامتداده الزمني الذي يعد بآلاف السنين تجعل منه ما يمثل مجموعات بشرية مختلفة؛ من حيث الجنس والثقافة؛ فعلى الأقل يمكن تحديد مجموعات سوداء وأخرى بيضاء، وقد تنقسم كل مجموعة إلى مجموعات إثنية تبعًا لخصائصها الفيزيولوجية، تلك المجتمعات عاشت في أزمان مختلفة، وفي أجزاء متعددة من الصحراء([2]) .

طبيعة تصنيف العصور التاريخية طبقًا للأسلوب المتبع في تنفيذ الفن الصخري: لقد اعتمد الباحثون في تحديد المراحل الكبرى للفن الصخري بشمال أفريقيا على معايير تحدد بشكل جيد بداية ونهاية كل مرحلة، وهذه المعايير ما هي إلا نتيجة لمختلف الدراسات والتحاليل لأنواع الأشكال الممثلة والتطابق بينها، وكذلك أساليب تمثيلها، وأنماط

([1]) لينا محمد حافظ: ٢٠١٤، المناظر والأشكال الآدمية في الرسوم الصخرية في جنوب القارة الأفريقية خلال العصر الحجري المتأخر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص ١١

[2]) Armitage S.J.& Others: (2000) , Muliple phases of North African humidity recorded in lacustrine sediments from the Fazzan Basin Libyan Sahara , Quaternary Geochrology , Earth Sciences Department, University of Garyounis , Binghazi, Libya, pp.181-186.

تقنيات إنجازها، كدرجة الحزوز والنقوش المقامة، ونوعية المغرة والألوان المستعملة، واختفاء وظهور بعض الحيوانات، فمن خلال كل ذلك توصلوا إلى تحديد مراحل متعاقبة ([1]).

إن التصنيف الذي اعتمد عليه لوت وهو الأشهر يعتمد على ظهور واختفاء حيوانات معينة، مع أن هنري لوت قد اعترف أن الحيوانات مثل (الثتيل) ([2]) قد استمر وجودها في مراحل لاحقة، وهناك تصنيف آخر حسب نوع الفن كونه طبيعيًّا، أو رمزيًّا (موزيليني وموري)، كما يصنف الفن الصخري حسب نشاط الإنسان إلى فن الصيادين، وفن الرعاة، ويمكن أن يقسم تبعا للمجموعة البشرية مثل ذلك الذي اتبعه أندرو سميث؛ حيث قسم الرسوم إلى أسلوب الجنس الأبيض، وأسلوب الجنس الأسود . ([3]) واتخذ موري Mori, F. من الأسلوب المتبع في تنفيذ الفن الصخري وسيلة لتقسيم العصور الحجرية في شمال أفريقيا إلى خمس مراحل ألا وهي:

١) عصر ([4]) الصيد (الثتيل) The era of hunting
٢) عصر الرؤوس المستديرة The era of round heads
٣) عصر الرعاة era of shepherds
٤) عصر العربة والحصان The era of the cart and the horse
٥) عصر الجمل The era of camel([5])

---

[1]) Alsherif,The A.: 2014, history of rock art research in the Tadrart Acacus (Southwest Libya), Adoranten , P. 56

([2]) هى من الحيوانات التى تنتمى إلى عائلة البقريات، وهو حيوان مميز فى الشكل يجمع فى شكله بين رأس الثور وقرنيه ووجه البقر، هذا بالإضافة إلى ذلك فإن شعره يشبه شعر الحصان، كما أن ذيله يشبه ذيل الحصان.

[3]) Alimen, H.:(1957), the Prehistory of Africa, London, P. 66

([4]) يذكر التصنيف بمصطلح العصور، وأحيانًا المراحل، أو الأدوار.

Alimen, M.-H. (1966). Gravures rupestres de la station deTahtania, près de Taghit (Sahara nord-occidental). In: Bulletin de la Société préhistorique française. tome 63, NO. 2. p. 409-432.

5) Garcea , E.A.A.: (1996) ,the long sequence at Uan Tabn (Tadrart Acacus, Libya) : Ateian and Holocene deposit . In The Colloquia of the XIII International congress of prehistoric and protohistoric Sciences, F.Mori) ,Forli :ABACO ,PP.183-94.

حيث إنه يوجد نوعان من الفن؛ الصخري الرسوم والنقوش كل نوع يتكون من مراحل فنية(الصيد (الثتيل)، الرؤوس المستديرة، البقريات، الحصان والعربة ، الجمل ، تلك هي المراحل الفنية، و لقد بدأ موضوع الفنّ الصّخري بشمال أفريقيا، يلفت اهتمام الدّارسين منذ منتصف القرن التّاسع عشر، ومع بداية القرن العشرين أضحى هذا الموضوع الشّغل الشّاغل لمعظم المختصّين في مجال الفنون الصّخريّة في عصور ما قبل التّاريخ، ولقد ركّز علماء الآثار المختصّون في هذه الحقبة على دراسة ما خلّفه لنا إنسان ذلك العصر من أدوات وأدلّة أخرى تشير إلى هذا الفنّ .([1])

إنّ اكتشاف الكثير من الأدوات الحجريّة في الكثير من المواضع بالصّحراء بشمال أفريقيا إلى جانب الرّسومات الصّخريّة العديدة التي تمثّل الحيوانات الاستوائيّة كالأفيال، وأفراس النّهر، والتّماسيح، والقردة، يجعلنا نعتقد اعتقادًا جازمًا بأنّ الصّحراء بشمال أفريقيا كانت على غير ما هي عليه الآن، وأيّدت الأبحاث الجيولوجيّة صحّة هذا الافتراض؛ حيث أكّدت أنّ الصّحراء في فترة عصور ما قبل التّاريخ، كانت غزيرة الأمطار، كثيرة الغابات، تتخلّلها الكثير من الأنهار [٢].

---

[1]) Gautier, A.: (1987) . The archaeozoological sequence of the Acacus . In Archaeology and Environment in the Libyan Sahara : The Excavations in the Tadrart Acacus, (ed. B. E. Barich) , Oxford : British Archaeological Reports S368, pp283-308.

[٢]) مورى، ف: (١٩٨٨ مـ) تادرات الأكاكوس، الفن الصخرى وثقافات الصحراء قبل التاريخ ، ترجمة ، عمر البارونى وفؤاد الكعبازى ، مراجعة عبد الرحمن عجيلى ، مركز الجهاد الليبى ، سلسلة الدراسات المترجمة – ١٣ ، طرابلس .

ومن خلال دراستنا للفنون الصّخريّة بالمنطقة نستطيع تتبّع الحياة لحيوانيّة، والتّكهّن بالتّقلّبات المناخيّة، ونستطيع بالتّالي التّعرّف على ذلك الجذب التّدريجي الذي حلّ بها على مرور الأيّام. لقد اختلف علماء الآثار في تحديد تاريخ دقيق لهذه الرّسومات الصّخريّة، ولكنّهم وضعوا لها تقسيمًا قائمًا على الموضوع، وطريقة التّكوين الفنّي، وكان ذلك التقسيم يتمثّل في أربعة عصور رئيسة هي:

١- عصر الصيد (الثتيل)

يعتقد علماء الآثار أنّ هذا العصر من أقدم عصور الرّسومات الصّخريّة بالصّحراء بشمال أفريقيا، ويرجع هذا العصر إلى عصر الصّيّادين، وقد ظهرت في هذا العصر الحيوانات التي تحتاج إلى مصادر دائمة من الماء والحشائش مثل الفيلة والزّراف وأفراس النّهر ووحيد القرن والتّماسيح والقردة (شكل٦). ويغلب على هذه الرّسومات أنّها غير ملوّنة، ويظهر إلى جانب هذه الحيوانات الصّيّادون في جماعات وهم يستعملون الشّباك والهريّ التي تنتهي أطرافها بحراب حجريّة. ونلاحظ عليهم أنهم يرتدون أقنعة على شكل رؤوس الحيوانات للتّمويه؛ وذلك لكي يسهّل صيد تلك الحيوانات، أو ربّما كانوا يضعون تلك الأقنعة لأغراض دينيّة محضة [١]

إنّنا لا نستطيع إعطاء تاريخ محدّد لهذه الرّسومات الصّخريّة، ولكن معظم آراء الباحثين تتّفق على أنّها تعود لفترة تاريخية تسبق الألف الثّامنة قبل الميلاد.

---

١) مورى . ف. ١٩٧٩م : حول تاريخ الرسوم الصخرية ، ترجمة مكاييل محرز، منشورات مركز الجهاد الليبي ، سلسلة الدراسات المترجمة ، طرابلس ، ص ١٥

شكل ٦: نقش صخري لتمساح يعود لعصر الثتيل – تادرات الأكاكوس

المصدر: هنري لوت : ١٩٩٧م ، لوحات تاسىلى ، ترجمة أنيس ذكي ، مكتبة الفرجاني ، ط ١، طرابلس

٢- عصر الرّؤوس المستديرة:

هذه المرحلة تتميز بوجود شخصيات ذات رأس مستدير مع عدم وجود ملامح الوجه بشكل عام، ويتكون هذا الفن من عدة أساليب قد تصل إلى ١١ أسلوبا الأقدم منها يمثل شخصيات أحادية اللون لا يزيد علوها عن ١٠ سم، وبعض الصور يصل ارتفاعها إلى ٦ إلى ٨ أمتار فى المتوسط، مطلية باللون الأبيض، ومحاطة بالخط البنفسجي، والبني ([1])

- الفن الصخرى عصر الرؤوس المستديرة؛ وهو يتميز بالآتي:

- وجود صور إنسانية غالبة مع قلة تواجد لصور الحيوانات، وهو ما نجد عكسه؛ سواء في عصر الصيد، أو عصر الرعاة Bovidiene

[1]) Mori, F: (1968) , Prehistoric Sahara Art and Cultures in The Light of Discoveries in The Acacus Massif , Libya in History , University of Libya Faculty of Arts , Historical Confrence p.130

- أشخاص يضعون أقنعة، وأقنعة أخرى مرسومة بشكل منفرد، أما الأشكال؛ فهي مرسومة بأحجام متنوعة، وأحيانًا أكثر من الطبيعي.
- التشكيلة الحيوانية محدودة في الضباء مع تواجد قليل لأفراس النهر (وحيد القرن)، والزرافات، وأقل منها للفيلة، والحيوانات الأخرى.
- وجود كبير للأقنعة برؤوس (فصيلة الكلبيات)، خصوصًا في وادي جرات(انعدام ملامح الوجه في معظم الصور، واقتصار بعضها على أشكال هندسية في دائرة الرأس، أما المشاهد التي تظهر فيها ملامح الوجه؛ فقد تمثل شخصيات بوجه أبيض، بينما تظهر أغلب المشاهد الوجه الزنجي.
- الألوان المستعملة هي اللون الأبيض، واللون الأحمر ثم اللون الأصفر وأقل منه بالنسبة- لبقية الألوان البنفسجي، البني، الرمادي ونادرا اللون الأخضر الذي نجده خصوصا في جبارين.
- وجود مساحة ظلية في الداخل بلون مختلف عن لون الجوانب المحيطة بالجسم، وكأنهم- يقومون برسم الحدود الخارجية للجسم أولًا بلون، ثم يقومون بتلوين الأجسام الداخلية بلون مختلف وهي ما نطلق عليه (تقنية الدارة).
- تضع الشخصيات الإنسانية قطعة قماش تشبه التنورة pagne - أو غطاء للعورة للنساء، والرجال أما البدن؛ فهو عاري.
- يوضح نوع الجنس بالنسبة للنساء بواسطة أثداء مخروطية الشكل.
- عدم وجود مشاهد الحروب، والقتال في هذا الفن، وهو يدل على التواجد السلمي في المنطقة-
- الزينات الجسدية كثيرة وهي تغطى أجزاء من الجسم كاليدين والصدر والبطن وقد تغطي- الجسم كله في الوسط وفي الذراع وعند المرفق والركبة، والزوائد المتدلية على الذراعين والساقين،

- معظم مشاهد الرؤوس المستديرة تعبر عن جانب روحي وأسطوري غالبًا على حياة- الناس في ذلك الوقت ويعتقد علماء.

مرحلة وسطى بين العصر المطير وفترات الجفاف التي حلت فيما بعد، ويرجح أنها بدأت في الفترة ما قبل ٨٠٠ ق.م واستمرت حتى ٣٥٠٠ ق.م (١)، ويفتقر التحديد الزمنى للعصور التاريخية في تادارات الأكاكوس للمزيد من الدراسات الكرونولوجية، التي تحدد على وجه أقرب للدقة للفترات الزمنية تلك. (٢)

جـ- -عصر الرّعاة:

فنرى بوضوح في هذا العصر أن منطقة كانت موطناً لحيوانات استوائية انقرض وجودها في مرحلة عصر الرعاة، وكذلك حدثت تغيرات على التركيبة السكانية نتيجة تأثيرات هجرات العناصر الخارجية من العناصر القوقازية والزنجية، وهو ما يظهر بوضوح في المناظر الصخرية، والبقايا العظمية للسكان الأوائل خلال عصر الرعاة (٣).

وخلال عصر الرعاة حدث التغير المناخي الحاد في شمال أفريقيا؛ مما أثر على ثقافة السكان وانتشارهم، وطريقة معيشتهم التي تكيفت مع الظروف البيئية المحيطة، ويمكن إجمال التغيرات التي حدثت في عصر الرعاة كالتالي:

---

1) Lhote, H. (1966). Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili. Éléments sur la magie et la religion. In: Journal de la Société des Africanistes, tome 36 fascicule 1. p. 90.

2) Gimpera, P. B.: (1950), the Chronology of Rock Paintings in Spain and in North Africa, the Art Bulletin, Vol. 32, No. 1, College Art Association. P. 55

٣) حمدي عبد المنعم: (١٩٩٤م) الوظائف الثقافية والاجتماعية لفن ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، رسالة ماجستير (مخطوط) غير منشورة، كلية الآداب قسم الأنثروبولوجيا جامعة الإسكندرية، ص ١٦٣.

١- سكان شمال أفريقيا خلال عصر الرعاة يمثلوا المرحلة مهمة في تاريخ البشرية ككل، وهي تلك المرحلة التي حدث فيها تغير مناخي حاد أدى إلى تصحر المنطقة، وهو ما ترتب عليه:

أ- تحول الإنسان من حرفة الصيد إلى حرفة الرعي بعدما انقرضت الحيوانات الاستوائية التي كانت تقطن شمال أفريقيا، فكان البديل الأمثل لتوفير الغذاء هو استئناس الحيوان حتى يُضْمَنَ إمدادٌ دائمٌ من الغذاء ([1]).

ب- هذه المرحلة شهدت تحول الإنسان من عبد للطبيعة من حوله يعتمد على ما تجود به من حيوانات ونباتات، إلى مطوع للبيئة ومنتج للغذاء.[2]

٢- تشكلت في هذه المرحلة التركيبة السكانية للمنطقة بعدما استقبلت هجرات من شمال البحر المتوسط، ومن الجنوب شبه الجزيرة العربية ومن غرب أفريقيا

منظر صخرى، عصر الرعاة عنصر قوقازى

Mori , F: (1968), op.cit, P. 149 :

[1]) لخضر بن بوزيد: دت، الطاسيلى أزجر: ما قبل التاريخ، المعتقدات والفن، بسكرة الجزائر، ص١٩٥.

2 Lhote, H.:(1959). Nouvelle contribution à l'étude des gravures et peintures rupestres au Sahara Central : la station du Tit (Ahaggar). In: Journal de la Société des Africanistes, tome 29 fascicule 2. pp.147-192

٣- ظهور الصراعات المسلحة بعدما تقلصت المساحات الخضراء وجفت المياة؛ فكانت عاملا مهما في نشأة صرعات على الكلأ والمرعى.

:

نزاع مسلح، عصر الرعاة

المصدر: لخضر بن بوزيد: دت، ص ١٧٧

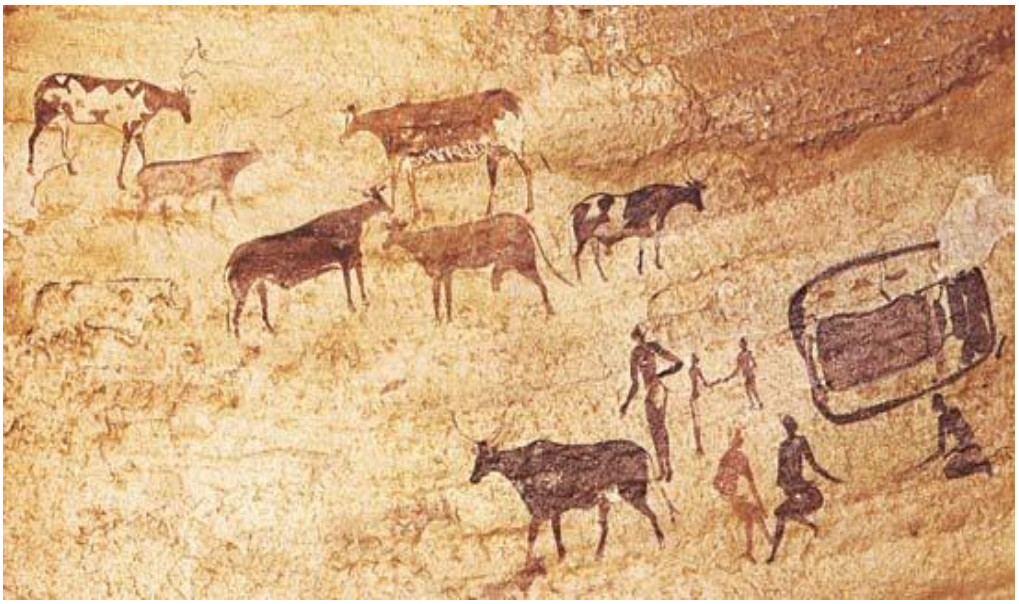

حرفة الرعى- عصر الرعاة

المصدر: Alain, S.: 1991, P. 74

وقد ظهر في هذا العصر قمّة الإبداع الفنّي متمثّلاً في الرّسوم الصّخريّة الملوّنة التي تتألّف من أشكال حيوانيّة بأحجام صغيرة رسمت بطريقة طبيعيّة بديعة، ومن الملاحظ أنّ الماشية هي الحيوانات المفضّلة للرّسم من قبل فنّان ذلك الدّور، وبالإضافة إلى الحيوانات يمكن أن نشاهد صور الرّعاة خلف حيواناتهم؛ فلقد استعمل الفنّان في هذا العصر أملاح بعض المعادن كأصباغ للتّلوين؛ ممّا جعل الصّور تحتفظ بألوانها الأصليّة إلى يومنا هذا، وبدأت تظهر في هذا العصر رسوم النزعات المسلحة؛ نظرًا لقلة المياه وندرة المراعي ويعتقد علماء الآثار أنّ تاريخ هذه الرّسوم يرجع لفترة زمنيّة طويلة تبدأ مع نهاية الألف السّادسة قبل الميلاد (١)، وتنتهي مع نهاية الألف الثّالثة قبل الميلاد. (٢)

٤- عصر الجمل، وعصر الحصان والعربة:

ظهرت في هذين العصرين صور الحصان والجمل؛ فمن حيث الحصان فإنّه دخل الرّسوم الصّخريّة أحيانًا على شكل منفصل، وأحيانًا أخرى متّصلاً بعربة، وكانت العربة تجرّ بأكثر من حصان في معظم الأحوال، وقد انتشرت في هذين العصرين رسوم تمثّل الجمل، ونلاحظ أنّ الجمال تظهر في هذه الرّسوم على شكل قوافل لوّنت باللّون الأحمر، وهذه الفترة تقابل العصر الروماني في شمال أفريقيا (٣)

---

١) متوسط زمن

٢) *لخضر بن بوزيد: د.ت، ص ١٧٧*

٣) حسن الشريف: ١٩٩٩، النقوش الصخرية والرسوم كمصدر تاريخي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد السابع ، المجلد الأول ، القاهرة .ص ٣٠

عصر العربة والحصان

Alain, S.: 1991, P. 79 :

نقش صخرى - عصر الجمل

Alain, S.: 1991, P. 90 :

إنّ أسلوب الرّسومات الصّخريّة التي تمثّل الحصان، والجمل لم تكن في مستوى الرّسوم التي نفّذت في العصور السّابقة، وتعتبر رسوم هذا الدّور بمثابة خطوة إلى الوراء بالنّسبة لما تحقّق في عصرى الرّؤوس المستديرة والرّعاة، ويعتقد العلماء أنّ تاريخ هذه الرّسوم يعود إلى الفترة التّاريخيّة ما بين ١٠٠٠ قبل الميلاد و١٠٠ ميلاديّة. ويعتقد وجود علاقة بين هذه الرّسوم وحضارة (الجرامنت) التي كانت عاصمتها مدينة (جرمة)([1]).

ويمكن إجمال العصور التاريخية، والفنية في تادارات الأكاكوس، وما يقابلها من فن كالتالي:

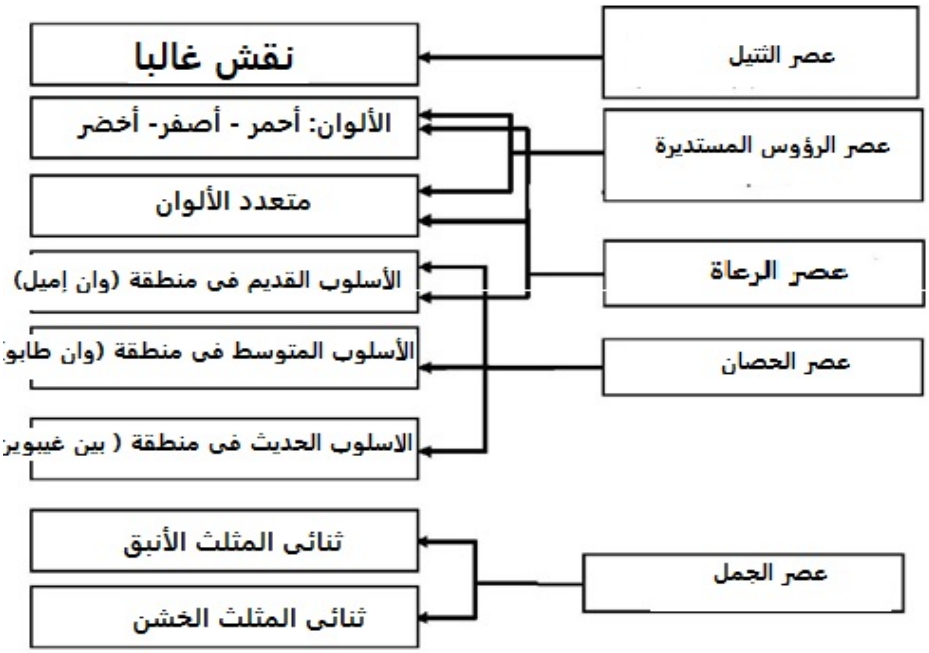

([2])

[1]) Mori.F.: (1968) , OP.CIT,P,135.

[2]) نجلاء على الصادق المقطوف: ٢٠١٨، ظاهرة الخطوط والأشكال بالفن البدائي في رسوم جبال الاكاكوس وتاسيلى، مجلة كلية الفنون والأعلام، جامعة مصراته، العدد السادس، ص ١٩

ثانيًا – سمات الفن الصخري

يعد الفن هو الرصيد المادي والمعنوي لكل الشعوب في العالم، وأول الطرق التي بدأ بها الإنسان القديم تسجيل تاريخه، والحياة التي كان يعيشها قبل ظهور الكتابة، وتعرفنا من خلاله على تاريخ الشعوب القديمة، وطريقة تطورها ولكنه كان – ولا يزال – من أصعب الفنون؛ ذلك لأنه يعد بداية تعبير الإنسان عما حوله كالطفل الذى يتعلم الرسم في بداية عمره ثم تطور وكبر، كما ترجع صعوبته إلى محاولة تفسير مضمونه، وأهمية الغرض منه في عصور ما قبل التاريخ، أو ما قبل ظهور الكتابة. (١)

وقد اختلف العلماء حول الغرض الحقيقي من تسجيل هذه النقوش والرسوم الصخرية؛ فالغالبية العظمى من الأنثربولوجين يرون أنها ذات مغزى أو غرض سحري في المقام الأول ، وأن الغرض الرئيسي من رسم أحد الحيوانات هو التعبير عن أمنية العثور على العديد من أفراد هذا الحيوان أثناء رحلات الصيد؛ فمعنى ذلك: أن هذه الرسوم والنقوش كانت ترتبط بنوع من الممارسات السحرية، وهو النوع المعروف باسم (السحر الاستعطافي) الذى يهدف الإنسان من ورائه إلى زيادة أعداد الحيوانات التي تمثل مصدرًا رئيسًا لطعامه؛ من أجل تكاثر، واستمرار الجنس البشري، واستمرار الحياة (٢).

وكان الصياد القديم يخشى دائمًا احتمال ندرة الحيوان؛ ولذا عمل على رسمه في صورة واقعية قدر الإمكان تمثل المصدر الرئيسي لطعامه على اعتقاد منه أنه قد يحقق له استمرارية ذلك المصدر، وبقاء حصوله على هذه الحيوانات التي يعتمد عليها في غذائه، وفى جوانب أخرى من حياته؛ لذلك ينظر العلماء والباحثون إلى النقوش والرسوم الصخرية التي يغلب عليها العنصر الحيواني على أنها فن خاص بسحر القنص، وإنسان تلك الفترة قام برسم الحيوانات التي يبغى صيدها أو قنصها؛ لذلك نجد أن الفكرة أو الموضوع الرئيس الذي تدور حوله هذه النقوش والرسوم يغلب عليها الطابع السحري أو الخارق للطبيعة (٣) .

---

1 Anati. E ,: (1997), L' Art Rupestre dans Le monde L'Imaginaire de La Prēhistoire, La Rousse - Bordas., VOL.15, NO.2, PP.36-72

2) Mori, F.: 1960, Arte preistorica del Sahara libico. De Luca: Roma, P. 66

3) Lhote . H, 1960 : L'Art Rupestre de L'afrique Mineure et du Sahara, L'Age ge Pierre,Quarante Millenaires d'art parietal , paris,p.59.

ولا ينطبق هذا الافتراض إلا على بعض النقوش والرسوم الصخرية التي ركز فيها الفنان على تصوير الحيوانات بشكل كبير وحجم مبالغ فيه، ولم يهتم بتصوير الإنسان قدر اهتمامه بتصوير الحيوان الذي اعتمد على صيده؛ بوصفه مصدرًا للغذاء.

ويعتقد ثييس Thiesأحد علماء تصنيفات الفن الصخري أن هذا الفن كان دينيًّا صِرْفًا، وأنه يمجد الخصوبة أو الصيد، وأن أصحابه قدموا القرابين أمام تلك الصور، وهي حيوانات دامية، لكن هذه النقوش كانت تظهر- أيضًا- التجمعات الحيوانية، وأشكال الحياة المختلفة للسكان الأول ([1]) .

وأحياناً نطقت الصورة كما تنطق الكتابة، وهو على ذلك يرى أن فن النقوش والرسوم الصخرية الإفريقي عامة هو أول كتاب تاريخ لهذه القارة؛ أي: أنه اعتبره طريقة للتاريخ يروي به الفنان ما دار من أحداث الحياة حوله بغرض تخليدها، أو نقل خبراته إلى من سيأتي بعده.

أما هنري لوت Henri Lhote فيرى أن فن ما قبل التاريخ كان يصدر عن وحي من السحر؛ لأنه كان ينبع من المعتقدات الدينية ، بمعنى أنه في تلك الفترة المبكرة لم يكن هناك فن من أجل الفن ، لأن مثل هذا المفهوم الفني لا يمكن أن يوجد إلا عند أقوام يعيشون في مستويات حضارية أعلى، ومع ذلك كان لابد من وجود استثناءات في موضوعات معينة رسمها، أو نحتها فنانو ما قبل التاريخ لتصف بأي حال مغزى غامض على الإطلاق؛ بل إنها كانت للتحليل الخالص والتصوير الفردي، ولعل الظاهرتين؛ أي: "ظاهرتي الفن الديني ، والفن للفن" كانتا موجودتين جنبًا إلى جنب رغم أن البحث فى المغزى الحقيقي لفن ما قبل التاريخ ذهب إلى أبعد حدود التصور والغرض ، ولم تنته حتى الآن وستستمر إلى المستقبل بلا نتيجة (٢).

---

[1]) Lhote . H, 1960 : OP.CIT, P. 60

2 Mori, F: (1968), Prehistoric Sahara Art and Cultures in The Light of Discoveries in The Acacus Massif, Libya in History, University of Libya Faculty of Arts, Historical Conference. P. 33

لكن بتأمل هذا الفن والمناظر التي يصورها نرى أنه لم يكن كما صوره هؤلاء العلماء لأغراض دينية وسحرية؛ بل إنه تجاوز هذا الأمر، وربما كانت هذه الصور مفردات للغة، أو للمنطقة؛ فمثلاً اللغتان: المصرية، والسومرية القديمة في بلاد الرافدين كانتا في البداية على شكل مقاطع، ومفردات لحيوانات وطيور وجدت في بيئتهم، وعلى هذا الأساس؛ فسكان ليبيا كانوا على وشك أن تكون لهم لغة أم (١)، أما السبب في عدم اكتمال ذلك الأمر؛ فيرجع إلى سببين:

الأول- أنه عندما بدأ سكان تادارات الأكاكوس في التوصل للإرهاصات الأولى للكتابة، وقفت البيئة عائقاً أمامهم، ولم تعطهم المادة الخام المتوفرة الرخيصة؛ لينتجوا منها أدوات الكتابة في حين أن البيئة منحت كلاً من: المصريين، والسومريين المادة الخام والرخيصة التي مكنتهم من إبداع لغتهم وتطويرها، ورغم ذلك إذا كان هؤلاء السكان قد عرفوا الكتابة لكانوا سجلوا ذلك على الصخور كما فعلوا مع الرسوم (٢)

الثاني – كان العامل البيئي له أثر؛ ففي الوقت الذى ظهرت فيه الإرهاصات الأولى للكتابة أصاب المنطقة الجفاف فقضى على هذه المحاولات وهجر السكان الصحراء ولكن الجفاف لم يصب المنطقة بشكل مفاجئ؛ بل مرت فترة زمنية طويلة حتى حدث الجفاف؛ وبالتالي إذا كانت هناك معرفة بلغة خاصة بهم لاكتلمت، ولاستعملت (٣).

لكن هؤلاء السكان القدامى رأوا في تلك الرسوم والنقوش ما يعبر بشكل أو بآخر عن نمط حياتهم ومعتقداتهم الدينية؛ فظل استخدام الفن الصخري هو المفضل لديهم، ويتبين من دراسة الفن الصخري في الصحراء أنه يختلف عن فن الكهوف في أوروبا؛ فقد وجد في العراء، وعلى مساحات كبيرة من صخور عمودية وملساء، كما أنه يتميز عن فن الكهوف بأنه لم يركز على تصوير الحيوانات فقط؛ بل صور مظاهر الحياة اليومية بجانب تصويره للحيوانات التي كانت موجودة حوله في تلك الفترة (٤).

---

1) Muzzolini A.: (1992)- « Le profane et le sacré dans l'art rupestre Saharien », Ext : BSPF, Paris.

2)BAHN, P.: 2009. Review of di Lernia S., Zampetti D., La Memoria ell'Arte. Le pitture rupestri dell'Acacus tra passato e futuro, Journal of African Archaeology, VOL.7, NO1, PP. 24-35

3) Lhote . H, 1960 : OP.CIT, P. 133

٤) حسن الشريف: (١٩٩٨م) مرجع سابق، ص ص ٦٨،٦٩

أما بالنسبة للمغزى الحقيقي وراء ظهور هذا الفن في تادارات الأكاكوس؛ فلقد اختلف العلماء كما ذكرنا في تحديده؛ فبعضهم رجح أن يكون السبب دينيًّا، أو أن السبب ربما يكون له علاقة بالسحر، بينما يرى ثالث أنه كان فنًّا من أجل الفن، والشعور بلذة الإبداع والتأمل الجمالي، لكن من دراسة هذا الفن تبين أن المغزى الحقيقي من ورائه يكمن في النظريات الثلاث معًا، ولا تصلح واحدة دون الأخرى، كما أن هذا الفن يعد كتابًا تاريخيًّا مفتوحًا للصحراء في فترة ما قبل التاريخ؛ حيث تمكن العلماء خلاله من معرفة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية لسكان هذه المنطقة في تلك الفترة (١) .

وفي الجدول التالي رقم (١) عرض لرأي بعض العلماء بخصوص الغرض من الفن الصخري:

العلماء، والباحثون	الغرض من المناظر الصخرية	أوجه التشابه مع غيرهم من الآراء
١)علماء الأنثروبولوجي	سحري استعطافي لغرض الحفاظ على مصدر الغذاء من أجل البقاء على الحياة.	يتفقون مع ثييس وزيربو ولوت، ولكنهم لم يذكروا الناحية الدينية أو التأملية.
٢)ثييس this	ديني بشكل تام، ولكنه يمجد السحر.	يؤكد الغرض الديني للمناظر، ويتفق مع لوت.
٣)زيربوzerbo	استرجاع نشوة الصيد والسحر، وتأمل، وإبداع من البيئة المحيطة، وأيضًا طريقة للتأريخ.	يتفق مع حسن الشريف في أنه طريقة للتأريخ.
٤)لوتLhote	سحري ديني فقط.	يتفق مع بعض علماء الأنثروبولوجي، وثييس.
٥)حشيد Hachid	سحري تأملي.	ويتفق مع زيربو، ولوت.
٦)حسن الشريف	طريقة للتأريخ.	يتفق مع زيربو.
٧)حمدي عبد المنعم	ديني سحري إبداعي تأملي.	يتوسط، ويتفق مع أغلب الاراء.([1])

1) Lhote, H.: (1941), Quelques objets à faciès paléolithiques trouvés dans le Sahara central, Journal des Africanistes, VOL. 11, NO 1, Voir l'article en ligne, Persée, pp.141-147.

[٢]) سميحة حسين أبو سريع: ٢٠١٥، المرأة في عصر الرعاة بشمال أفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة، ص ٣٤

ويحتمل أن يكون الغرض من الفن الصخري يرجع إلي أنه كان في البداية بغرض سحري ديني، أو لتصوير الحيوان والسيطرة عليه، لكن مع تطور الإنسان، وحدوث تغيرات في أنماط حياته حدث تطور في أنواع الفن، وعبر عن باقي الجوانب الحياتية؛ فأصبح من الممكن أن يكون الغرض منه التأمل في البيئة المحيطة، والإبداع في تصويرها. ([1])

وقد اعتمد تصنيف حشيد على التقنية الفنية، وطريقة تنفيذ الفنان لمناظر كل المراحل، وأيضًا ملامح الأشخاص الموجودة وأنماط الملابس ([2]).

١٢- تصنيف سميث (Smith) ١٩٩٣م:

ويتفق مع من سبق من باحثين فى التصنيف الكرونولوجى:

١) مرحلة الرءوس المستديرة.

٢) مرحله الرعاة، وتنقسم إلى:

أ – أسلوب الوجوه السوداء الذي يصور أشخاصًا ذوي بشرة سوداء تتزين أجسادهم في بعض الأحيان بزخارف بيضاء، ولهم تسريحات شعر متنوعة، والحظائر على شكل بيضاوي مع إظهار ما بداخلها من أواني لحلب الماشية، وتتكون القطعان من البقر، ورسمت بشكل واقعي ([3]).

ب- أسلوب الوجوه البيضاء الذي يصور أشخاصًا ذوي بشرة بيضاء وشعر طويل، وبعضهم له لحية، وأجسامهم مغطاة بزخارف بدنية مختلفة الألوان، وتظهر الحظائر على شكل دائري مع عدم إظهار التفاصيل الداخلية، وتتكون القطعان من غنم وماعز إلى جانب البقر.

٣) مرحلة الحصان.
٤) مرحلة الجمل ([4]).

---

1) Liverani, M., Cremaschi, M. & di Lernia, S.: 2000. The ‘Archaeological Park’ of the Tadrart Acacus and Messak Settafet (south-western Libya). Sahara, VOL. 12, PP.121–140.

2) Ibid, P. 35

3) Smith, A.L.:(2001), Pottery Manufacturing Processes : Reconstruction and Interpretation, The Van Afuda Cave, HunterGatherer Societies of Central Sahara, Arid Zone Archaeology , Monographs.PP. 63-102

[4]) Smith, B. : (1993) New Approaches to Saharan Rock Art of the Bovidion Period, Studies in African Archaeology, VOL. 4, Poznan,PP.82-116.

١٣ – تصنيف سانسونى (Sansoni.U) ١٩٩٤م.

١) المرحلة القديمة.
٢) المرحلة القديمة المتأخرة.
٣) المرحلة المتوسطة.
٤) المرحلة المتوسطة المتطورة.
٥) المرحلة المتطورة.
٦) المرحلة النهائية ([1]).

ويظهر من خلال ما سبق أن التصنيفات الحديثة للفن الصخري اتفقت- في الغالب- على تقسيمه إلى مجموعات على حسب أبرز الحيوانات الموجودة، ويعد تصنيف مورى من أبسط التصنيفات المعروفة لهذا الفن وأوضحها؛ فقد تمت بناء على دراسات دامت سنوات في مواقع الفن الصخري.

[1]) Sansoni, U. 1993: Peculiarita E Ruoli Scenici del figure Maschili E Femminili Nell, Arte delle Teste rotonde, L'Arte E'L' Ambiente del Sahara Preistorica:Dati E Interpretazinoi, VOL.25, Milano, PP40-70.

المراجع العربية

- حسن الشريف: ١٩٩٩م، النقوش الصخرية والرسوم كمصدر تاريخي، مجلة المؤرخ العربي، العدد السابع، المجلد الأول، القاهرة.
- حمدي عبد المنعم: (١٩٩٤م) الوظائف الثقافية والاجتماعية لفن ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا والصحراء الكبرى، رسالة ماجستير (مخطوط) غير منشورة، كلية الآداب قسم الأنثروبولوجيا جامعة الإسكندرية.
- سميحة حسين أبو سريع: ٢٠١٥م، المرأة في عصر الرعاة بشمال أفريقيا، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة.
- لينا محمد حافظ: ٢٠١٤م، المناظر والأشكال الآدمية في الرسوم الصخرية في جنوب القارة الأفريقية خلال العصر الحجري المتأخر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة.
- مورى، ف: (١٩٨٨م) تادرات الأكاكوس، الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة، عمر البارونى وفؤاد الكعبازي، مراجعة عبد الرحمن عجيلى ، مركز الجهاد الليبى ، سلسلة الدراسات المترجمة.
- نجلاء على الصادق المقطوف: ٢٠١٨م، ظاهرة الخطوط والأشكال بالفن البدائي في رسوم جبال الأكاكوس وتاسيلى، مجلة كلية الفنون والاعلام، جامعة مصراته، العدد السادس.
- المراجع الأجنبية

- Alimen, H.:(1957), the Prehistory of Africa, London
- Alimen, M.-H. (1966). Gravures rupestres de la station deTahtania, près de Taghit (Sahara nord-occidental). In: Bulletin de la Société préhistorique française. tome 63, NO. 2
- Alsherif, A.: 2014, The history of rock art research in the Tadrart Acacus (Southwest Libya), Adoranten
- Anati. E ,: (1997), L' Art Rupestre dans Le monde L'Imaginaire de La Prēhistoire, La Rousse - Bordas., VOL.15, NO.2
- Armitage S.J.& Others: (2000) , Muliple phases of North African humidity recorded in lacustrine sediments from the Fazzan Basin Libyan Sahara , Quaternary Geochrology , Earth Sciences Department, University of Garyounis , Binghazi, Libya, pp.181-186.
- BAHN, P.: 2009. Review of di Lernia S., Zampetti D., La Memoria ell'Arte. Le pitture rupestri dell'Acacus tra passato e futuro, Journal of African Archaeology, VOL.7, NO1
- Garcea , E.A.A.: (1996) ,the long sequence at Uan Tabn (Tadrart Acacus, Libya) : Ateian and Holocene deposit . In The Colloquia of the XIII International congress of

prehistoric and protohistoric Sciences, F.Mori) ,Forli :ABACO
- Gimpera, P. B.: (1950), the Chronology of Rock Paintings in Spain and in North Africa, the Art Bulletin, Vol. 32, No. 1, College Art Association
- Lhote. H, 1960 : L'Art Rupestre de L'afrique Mineure et du Sahara, L'Age ge Pierre,Quarante Millenaires d'art parietal , paris
- Lhote, H. (1966). Les peintures pariétales d'époque bovidienne du Tassili. Éléments sur la magie et la religion. In: Journal de la Société des Africanistes, tome 36 fascicule 1
- Liverani, M., Cremaschi, M. & di Lernia, S.: 2000. The 'Archaeological Park' of the Tadrart Acacus and Messak Settafet (south-western Libya). Sahara, VOL. 12
- Mori, F: (1968) , Prehistoric Sahara Art and Cultures in The Light of Discoveries in The Acacus Massif , Libya in History , University of Libya Faculty of Arts , Historical Confrence
- Mori, F: (1968), Prehistoric Sahara Art and Cultures in The Light of Discoveries in The Acacus Massif, Libya in History, University of Libya Faculty of Arts, Historical Conference
- Muzzolini A.: (1992)- « Le profane et le sacré dans l'art rupestre Saharien », Ext : BSPF, Paris.
- Sansoni, U. 1993: Peculiarita E Ruoli Scenici del figure Maschili E Femminili Nell, Arte delle Teste rotonde, L'Arte E'L' Ambiente del Sahara Preistorica:Dati E Interpretazinoi, VOL.25, Milano
- Smith, A.L.:(2001), Pottery Manufacturing Processes : Reconstruction and Interpretation, The Van Afuda Cave, HunterGatherer Societies of Central Sahara, Arid Zone Archaeology , Monographs.
- Smith, B. : (1993) New Approaches to Saharan Rock Art of the Bovidion Period, Studies in African Archaeology, VOL. 4, Poznan